خاتمـــة

الفقـر تهـديد للسلام

(خطاب استلام جائزة نوبل)

ألقى هذا الخطاب فى أوسلو بالنرويج فى العاشر من ديسمبر عام ٢٠٠٦

أصحاب الجلالة والسمو الملكى، الأعضاء المحترمون فى لجنة نوبل النرويجية، أصحاب السعادة، السيدات والسادة

إنه لمن عظيم الشرف لى ولبنك جرامين حصولنا على هذه الجائزة ذات المستوى الأرفع فى العالم، وإن سعادتنا لغامرة لنيلنا هذا الشرف. ومنذ إعلان فوزنا بجائزة نوبل للسلام هذا العام وأنا أتلقى عدداً لا نهائيًا من الرسائل من كل أنحاء العالم، ولكن أكثر ما كان يحرك مشاعرى هو المكالمات الكثيرة التى كنت وما زلت أتلقاها يوميًا من مقترضى بنك جرامين فى أقصى قرى بنجلاديش، الذين يريدون فقط إخبارى بمدى فخرهم بما بلغناه.

وقد حضر معى إلى أوسلو تسعة منتخبون يمثلون سبعة ملايين مقترض ومالك مشترك لبنك جرامين، لتسلم الجائزة. وأتقدم بالنيابة عنهم جميعًا بالشكر للجنة نوبل النرويجية لاختيار بنك جرامين للحصول على جائزة نوبل للسلام لهذا العام. فقد نالوا شرفًا لا يضاهى بحصول مؤسستهم على هذه الجائزة المرموقة. فبفضل جائزتكم تحضر تسع من سيدات قرى بنجلاديش يملؤهن الفخر إلى احتفال اليوم، وهو ما يضفى معنى جديداً على جائزة نوبل للسلام.

فكل مقترضى بنك جرامين يحتفلون بهذا اليوم ويعتبرونه أعظم يوم فى حياتهم. وقد تجمعوا فى مجموعات، هم وغيرهم من أهالى قرى بنجلاديش فى كل أنحاء البلاد فى أقرب مكان به تليفزيون لمشاهدة هذا الاحتفال.

لقد أعطت الجائزة هذا العام أعلى مراتب الشرف والكرامة لمئات الملايين من النساء حول العالم ممن يكافحن كل يوم لكسب قوت يومهن وتحقيق آمالهن فى حياة أفضل لأطفالهن. إن هذه لحظة تاريخية لن تنسى لكل هؤلاء.

الفقر تهديد للسلام

السيدات والسادة

لقد أعطت لجنة نوبل النرويجية بمنحنا هذه الجائزة دعمًا حيويًا لمسألة الارتباط الوثيق بين تحقيق السلام والقضاء على الفقر، فالفقر يمثل تهديدًا خطيرًا للسلام.

والواقع أن التطلع إلى توزيع الدخل فى العالم يعطى صورة معبرة جدًا. فنحو أربعة وتسعين فى المائة من دخل العالم يتركز فى أيدى أربعين فى المائة فقط من السكان فى العالم، بينما تعيش نسبة الستين فى المائة الباقية من السكان على ستة فى المائة فقط من الدخل العالمى. ويعيش نصف سكان الكرة الأرضية على دولارين فقط فى اليوم، بينما يعيش أكثر من مليار نسمة على أقل من دولار واحد يوميًا. وهذه لا يمكن أن تكون معادلة مناسبة لتحقيق السلام فى العالم.

لقد بدأت الألفية الجديدة بحلم عالمى عظيم، حيث تجمع قادة العالم فى الأمم المتحدة فى عام ٢٠٠٠ وتبنوا هدفًا تاريخيًا لتخفيض الفقر إلى النصف بحلول عام ٢٠١٥، وذلك ضمن عدد من الأهداف الأخرى. ولم يحدث طوال تاريخ البشرية أن نادى العالم كله فى صوت واحد بتحقيق مثل هذا الهدف على هذا النحو الصريح، والواضح فى وجهته وفى زمن تحقيقه. ولكن أحداث الحادى عشر من سبتمبر وما أعقبها من حرب العراق صرفت انتباه العالم عن تحقيق هذا الحلم، وانتقل تركيز قادة العالم من محاربة الفقر إلى محاربة الإرهاب. وحتى اللحظة الحالية بلغ ما أنفقته الولايات المتحدة الأمريكية وحدها على حرب العراق ما يفوق ٥٣٠ مليار دولار.

إننى أؤمن أن الإرهاب لا يمكن القضاء عليه باستخدام القوة العسكرية وحدها فالإرهاب لا بد أن يواجه بأقوى لغة ممكنة. وعلينا أن نقف بمنتهى الحزم فى وجه الإرهاب،

وأن نحدد طرق القضاء عليه كما علينا أن نتعامل مع الأسباب الجذرية للإرهاب حتى نتمكن من القضاء عليه إلى الأبد. وأنا على قناعة تامة أن توجيه الموارد لتحسين حياة الفقراء هى إستراتيجية أفضل بكثير من توجيه تلك الموارد للإنفاق على التسليح العسكرى.

الفقر إنكار لكل حقوق الإنسان

لا بد أن نفهم معنى السلام بطريقة إنسانية، فلا بد أن نضعه فى إطار أوسع يشمل جوانبه الاجتماعية والسياسية والاقتصادية. فالسلام العالمى مهدد بسبب وجود نظام اقتصادى اجتماعى سياسى لا يتسم بالعدالة، وأيضا بسبب غياب الديمقراطية، وتدهور البيئة وانحسار حقوق الإنسان.

فالفقر هو غياب لكل حقوق الإنسان. وما ينشأ عن الفقر المدقع من توتر وعداوة وغضب، لا يسمح أبداً بتحقيق السلام والحفاظ عليه فى أى مجتمع. فإقامة السلام المستقر تتطلب إيجاد طرق مناسبة لخلق فرص تمكن الأفراد من أن يعيشوا حياة كريمة. إن خلق الفرص لغالبية الأفراد، وهم الفقراء، هو أساس العمل الذى كرسنا حياتنا له خلال الثلاثين عامًا الماضية.

بنك جرامين

لقد أصبحت مهمومًا بقضية الفقر ليس بصفتى صانع سياسة ولا بوصفى باحثًا، وإنما لأن الفقر كان محيطًا بى من كل جانب ولم أتمكن أن أشيح بنظرى عنه. ففى عام ١٩٧٤ وجدت من الصعب علىّ أن أقوم بتدريس النظريات الاقتصادية فى قاعات المحاضرات بالجامعة، فى الوقت الذى كانت فيه بنجلاديش تعانى من مجاعة شديدة. وفجأة شعرت بخواء تلك النظريات أمام شدة الجوع والفقر. فأردت أن أفعل أى شىء لمساعدة الناس من حولى فى الحال، حتى ولو كنت سأساعد شخصًا واحداً فقط لتجاوز يوم آخر بقدر أكبر من اليسر والسهولة. جعلنى هذا أتعرف عن قرب على صراع الفقراء من أجل العثور على أقل كمية من النقود لتوفير تكاليف المعيشة. وقد صعقت لدى اكتشافى امرأة فى إحدى القرى تقترض أقل من دولار من مقرض النقود، بشرط أن يكون له الحق الحصرى فى شراء كل إنتاجها بالثمن الذى يحدده هو. وقد كان هذا من وجهة نظرى شكلاً قبيحًا من أشكال السخرة المنبوذة.

لذا قررت إعداد قائمة بضحايا تجارة إقراض النقود فى القرية المجاورة للحرم الجامعى. وعندما اكتملت القائمة، وجدت أن هناك اثنان وأربعين ضحية بلغ مجموع ما اقترضوه سبعة وعشرين دولارًا. فقدمت مبلغ السبعة وعشرين دولارًا من جيبى الخاص لأخلص هؤلاء الضحايا من براثن مقرضى النقود. والواقع أن ما خلقه تصرفى البسيط هذا من حماس بين الناس جعلنى أنخرط فى هذا الأمر أكثر. فإذا كنت قادرًا على جعل هذا العدد الكبير من الناس سعداء مقابل هذا المبلغ البسيط، فلماذا لا أقوم بالمزيد؟

وهذا هو ما أحاول أن أفعله منذ ذلك الحين وأول ما قمت به كان محاولة إقناع البنك القائم داخل الحرم الجامعى بإقراض النقود للفقراء. غير أن محاولاتى لم تجد نفعًا، فقد رأى البنك أن الفقراء ليست لديهم جدارة ائتمانية. وبعد أن باءت كل محاولاتى على مدى عدة شهور بالفشل، عرضت أن أكون ضامنًا لقروض الفقراء. وقد أذهلتنى النتيجة، فقد قام الفقراء بسداد قروضهم فى الموعد المحدد فى كل مرة! ولكنى ظللت أواجه الصعوبات فى التوسع فى البرنامج خلال البنوك القائمة. عند ذلك قررت إنشاء بنك منفصل للفقراء، وأخيرًا نجحت فى تحقيق ذلك فى عام ١٩٨٣. وأسميت البنك الجديد بنك جرامين، أو بنك القرية.

واليوم يعطى بنك جرامين قروضًا لنحو سبعة ملايين فقير، ٩٧٪ منهم من النساء، وذلك فى ثلاث وسبعين ألف قرية فى بنجلاديش ويقدم بنك جرامين قروضه بدون ضمانات للأسر الفقيرة فى المجالات المولدة للدخل، ومجالات الإسكان وقروض الطلبة والائتمان الصغير. كما يقدم بنك جرامين برامج جذابة للادخار وصناديق المعاشات وخدمات التأمين لأعضائه. ومنذ بدايتها فى عام ١٩٨٤ استخدمت قروض الإسكان لإقامة ستمائة وأربعين ألف منزل. وصارت الملكية القانونية لتلك المنازل للسيدات أنفسهن. وقد انصب تركيزنا بشكل أساسى على السيدات لأننا وجدنا أن تقديم القروض للنساء غالبًا ما يعود بنفع أكبر على الأسرة ككل.

لقد قدم البنك منذ افتتاحه وحتى الآن قروضًا تبلغ إجمالى قيمتها نحو ستة مليارات دولار. وبلغت معدلات السداد ٩٩٪. كما أن بنك جرامين يحقق أرباحًا بشكل منتظم، وهو من الناحية المالية معتمد على التمويل الذاتى، فهو لم يتلق تبرعات منذ عام ١٩٩٥. وتصل قيمة الودائع مع الأصول المملوكة للبنك إلى ١٤٣٪ من إجمالى

قيمة القروض المستحقة للبنك. ووفقًا للمسح الداخلى لبنك جرامين فقد تجاوز ٥٨٪ من مقترضينا خط الفقر.

لقد ولد بنك جرامين كمشروع محلى صغير يدار بمساعدة عدد من طلابى من الشبان والشابات المحليين. ولا يزال ثلاثة من هؤلاء الطلاب يعملون فى بنك جرامين بعد كل هذه السنوات، وهم الآن يقودون الجهاز الإدارى للبنك. وهم معنا اليوم ليتسلموا معى هذا الشرف العظيم الذى تقدمونه لنا.

هذه الفكرة التى بدأت فى جوبرا، وهى قرية صغيرة فى بنجلاديش، انتشرت الآن فى جميع أنحاء العالم، فهناك الآن مشروعات على غرار بنك جرامين فيما يقرب من كل بلاد العالم.

الجيل الثانى

لقد مر الآن ثلاثون عامًا منذ أن بدأنا. ونحن دائمًا نتطلع إلى أطفال مقترضينا لنتعرف على آثار عملنا على حياتهم. فالسيدات من مقترضات بنك جرامين كن دائمًا يعطين الأولوية الأولى لأطفالهن. فأحد القرارات الستة عشر التى قمن باتخاذها واتباعها كان هو إلحاق الأطفال بالمدارس. وقد شجعهن بنك جرامين على ذلك، ومنذ وقت طويل أصبح كل الأطفال الآن يذهبون إلى المدارس. كما أن العديد من هؤلاء الأطفال نجحوا أن يكونوا بين المتفوقين فى صفوفهم. وللاحتفال بذلك قمنا بتقديم منح دراسية للطلاب الموهوبين. ويصل عدد المنح الدراسية التى يقدمها بنك جرامين كل سنة إلى ثلاثين ألف منحة.

وقد التحق العديد من هؤلاء الأطفال بالتعليم العالى ليصبحوا أطباء ومهندسين ومدرسين وغير ذلك من التخصصات ولقد قدمنا قروض الطلبة لنيسر على طلبة جرامين الالتحاق بالتعليم العالى. والآن أصبح بعضهم من حملة درجة الدكتوراه. ويبلغ عدد من حصلوا على قروض الطلبة ثلاثة عشر ألف طالب، ويضاف إلى هذا الرقم ما يزيد عن سبعة آلاف طالب سنويًا.

إننا نعمل على تكوين جيل جديد يتسلح أفراده بالعلم والمهارات بما يجعلهم قادرين على الخروج بأسرهم من دائرة الفقر. إننا نريد كسر الحلقة التاريخية لاستمرار الفقر وخروج الفقراء من تلك الحلقة اللعينة.

من التسول إلى عالم الأعمال، تحول ممكن

لقد وصل التمويل الصغير إلى ٨٠٪ من الأسر الفقيرة فى بنجلاديش، ونحن نأمل أن تصل هذه النسبة إلى ١٠٠٪ بحلول عام ٢٠١٠ .

ولقد بدأنا منذ ثلاث سنوات فى تطبيق برنامج خاص يركز على المتسولين، حيث يتم إعفاؤهم من تطبيق قواعد بنك جرامين للإقراض. فيحصلون على القروض بدون فوائد، كما أن رد القرض يترك لاختيارهم، فيمكنهم رد ما يشاءون من القرض وقتما يريدون، وقد اقترحنا عليهم أن يحملوا معهم سلعًا صغيرة مثل الوجبات السريعة والألعاب وبعض الأدوات المنزلية، وذلك عند مرورهم على المنازل للتسول. وقد نجحت هذه الفكرة، وهناك الآن الآلاف من المتسولين فى البرنامج، توقف نحو عشرة آلاف منهم بالفعل عن التسول. وتبلغ قيمة القرض المعتادة للمتسول ١٢ دولار.

إننا نشجع وندعم كل تدخل من شأنه أن يساعد الفقراء فى العمل من أجل الخروج من دائرة الفقر. ودائمًا ما نشجع الائتمان الصغير إلى جانب كل طرق التدخل الأخرى، لقناعتنا بأن الائتمان الصغير يجعل كل هذه الطرق الأخرى تعمل بشكل أفضل.

تكنولوجيا المعلومات من أجل الفقراء

تلعب تكنولوجيا المعلومات والاتصالات دورًا كبيرًا فى تغيير شكل العالم بسرعة كبيرة، حيث تخلق عالمًا من الاتصالات السريعة لا يعترف بالمسافات ولا بالحواجز. كما أن تكلفة هذه التكنولوجيا تتناقص بشكل مستمر. وقد رأيت فى توفير تلك التكنولوجيات للفقراء بما يخدم احتياجاتهم فرصة لتغيير حياتهم.

وكخطوة أولى لتوفير تكنولوجيا المعلومات والاتصالات للفقراء قمنا بإنشاء شركة تليفون محمول هى «جرامين فون». وبدأنا نعطى قروضًا من بنك جرامين للسيدات الفقيرات لشراء أجهزة محمول كوسيلة لبيع خدمات التليفون فى القرى. ومن هنا رأينا الاتحاد بين الائتمان الصغير و تكنولوجيا المعلومات والاتصالات.

لقد نجح مشروع التليفونات وسرعان ما أصبحت هذه الشركة إحدى الشركات المرغوبة لمقترضى جرامين. وتعلمت السيدات بسرعة، كما تفوقن فى ابتكار الخدمات

التليفونية، وأصبحت هذه هى أسرع طريقة للخروج من الفقر واكتساب الاحترام الاجتماعى. هناك الآن نحو ٣٠٠,٠٠٠ سيدة تقدم خدمة التليفونات فى كل قرى بنجلاديش، ولدى جرامين فون أكثر من عشرة ملايين مشترك، وهى الآن أكبر شركة تليفونات محمولة فى البلاد. وعلى الرغم من أن عدد السيدات اللاتى تقدمن خدمات التليفون يمثل نسبة صغيرة فقط من إجمالى المشتركين، إلا أن هؤلاء النسوة يولدن ١٩٪ من عائد الشركة. كما أنه من بين أعضاء مجلس الإدارة التسع الذين يحضرون احتفال اليوم يوجد أربعة من سيدات التليفونات.

وشركة جرامين فون هى شركة رأس مال مشترك مملوكة لكل من «تلينور» النرويجية بنسبة ٦٢٪ وجرامين تليكوم البنجلاديشية بنسبة ٣٨٪. وقد كانت رؤيتنا الأساسية تتمثل فى تحويل تلك الشركة إلى مشروع اجتماعى تمتلك فيه الفقيرات من سيدات بنك جرامين حصة الأغلبية. ولكننا ما زلنا نعمل على تحقيق هذا الهدف، وفى يوم ما ستصبح جرامين فون مثالاً آخر للشركات الكبرى المملوكة للفقراء.

اقتصاد السوق الحرة

تسيطر الرأسمالية بصفة أساسية على السوق الحرة. فكلما كانت السوق أكثر حرية كلما كانت نتائج الرأسمالية أكثر كفاءة فى الإجابة على أسئلة من نوع لماذا؟ وكيف؟ ولمن؟ كما أن الفرد فى سعيه من أجل تحقيق مصلحته الشخصية يعمل أيضًا ودون أن يدرى من أجل تحقيق المصلحة الجماعية.

وأنا أؤيد حرية السوق. غير أننى فى نفس الوقت لست راضيًا عن القيود المفروضة على الفاعلين فى السوق لتحديد مفاهيمهم وهى القيود التى تنشأ من افتراض أن المنظمين هم من ذوى التوجه الأحادى ينصب تركيزهم فى حياتهم العملية على تحقيق هدف وحيد فقط هو تعظيم الربح. هذا التفسير للرأسمالية يجرد المنظمين من كل التوجهات الأخرى فى حياتهم السياسية والعاطفية والاجتماعية والروحية والبيئية. ولعل هذا الافتراض جاء بهدف التبسيط، إلا أنه يلغى تمامًا أساسيات الحياة الإنسانية.

فالإنسان مخلوق رائع تتمثل فيه صفات وقدرات إنسانية غير محدودة. لذا لا بد أن تترك نظرياتنا مساحة مناسبة لتلك الصفات والقدرات لتزدهر، لا أن تفترض غيابها من الأساس.

ويظهر الكثير من مشكلات العالم نتيجة لهذا القيد المفروض على المشاركين فى السوق الحرة. فالعالم لم ينجح فى حل مشكلة الفقر المدقع الذى يعانى منه نصف سكان الكرة الأرضية. كما أن الرعاية الصحية لا تزال غير متوافرة للغالبية العظمى من سكان العالم. والدولة ذات السوق الأغنى والحرية الأكثر تفشل فى توفير الرعاية الصحية لسدس سكانها.

لقد أُخذنا بنجاح السوق الحرة لدرجة أننا لم نجرؤ أبداً على التشكيك فى افتراضنا الأساسى. وزاد الأمر سوءاً أننا عملنا بأقصى طاقتنا على تحويل أنفسنا لنصبح أقرب ما نكون لصورة الإنسان أحادى الجانب كما تصوره النظرية، وذلك لنضمن استمرار عمل آلية السوق الحرة بصورة سلسلة.

ويمكننا من خلال وضع تعريف أوسع للمنظم أن نغير سمة الرأسمالية جذرياً، وأن نجد حلولاً للعديد من المشكلات الاجتماعية والاقتصادية التى لم تحلها السوق الحرة بعد. إذا افترضنا أن المنظم له دافعان متنافسان كلاهما ملزم إلى نفس الدرجة، **والأول:** هو تعظيم الأرباح، **والثانى:** هو فعل الخير من أجل الآخرين ومن أجل العالم.

عند ذلك سيؤدى كل دافع إلى نوع منفصل من الأعمال. ودعونا نطلق على النوع الأول الأعمال التى تهدف لتعظيم الربح، وعلى النوع الثانى الأعمال الاجتماعية. ستكون الأعمال الاجتماعية نوعاً جديداً من الأعمال فى السوق، وهى تهدف إلى إحداث فرق فى العالم ويمكن المستثمرين فى الأعمال الاجتماعية استعادة أموالهم المستثمرة، ولكنهم لن يحصلوا على أى عائد على رءوس أموالهم من الشركة. فأرباح الشركة سيعاد استثمارها من أجل التوسع فى النشاط وتحسين جودة السلعة أو الخدمة المقدمة. وإذن فسوف يكون المشروع الاجتماعى شركة عديمة الخسائر، وفى الوقت نفسه عديمة الأرباح التى توزع على المستثمرين.

وبمجرد أن تصبح المشروعات الاجتماعية معروفة من الناحية القانونية، فإن كثيرا من الشركات القائمة الآن سوف تتقدم لإقامة مشروعات اجتماعية إلى جانب أنشطتها القائمة. وسوف تضاف هذه الشركات إلى النشطاء فى القطاع غير الهادف للربح وسوف يجدون فكرة المشروعات الاجتماعية شديدة الجاذبية. وبخلاف

المؤسسات غير الهادفة للربح والتى لا بد لاستمرار نشاطها من توافر التبرعات، فإن المشروعات الاجتماعية قادرة على الاعتماد على ذاتها وخلق فائض لتوسعاتها حيث أنها مشروعات عديمة الخسائر. وستلجأ المشروعات الاجتماعية فى زيادة رءوس أموالها إلى نوع جديد من أسواق رأس المال يختص فقط بالمشروعات الاجتماعية.

كما أننى توقع أن تروق فكرة المشروعات الاجتماعية أيضًا للشباب فى كل أنحاء العالم خاصة فى البلاد الغنية، حيث ستمثل لهم المشروعات الاجتماعية تحديًا لإحداث فرق وذلك بالاعتماد على مواهبهم الخلاقة. فالكثير من الشباب يشعر فى هذه الأيام بالهم الاجتماعى لعدم إحساسهم بوجود تحديات ذات قيمة حقيقية تحفزهم فى العالم الرأسمالى بصورته الحالية. وقد أعطتهم الاشتراكية حلمًا يناضلون من أجله. فالشباب دائمًا ما يحلمون بخلق عالم مثالى خاص بهم.

وسوف تعمل المشروعات الاجتماعية على حل كل مشكلات العالم تقريبًا الاقتصادية منها والاجتماعية. ويكمن التحدى هنا فى تصميم وابتكار نماذج خاصة للأعمال وتطبيقها لتحقيق نتائج اجتماعية مطلوبة بكفاءة أعلى وبأقل تكلفة ممكنة. فالرعاية الصحية من أجل الفقراء، والخدمات المالية من أجل الفقراء، وتوفير تكنولوجيا المعلومات للفقراء، والتعليم والتدريب للفقراء، والتسويق للفقراء، والطاقة المتجددة للفقراء كلها مجالات مناسبة لإقامة المشروعات الاجتماعية.

وتكتسب الأعمال الاجتماعية أهميتها من أهمية المشكلات التى تعالجها. فالأعمال الاجتماعية قادرة على تغيير حياة أدنى ٦٠٪ من سكان العالم وإخراجهم من دائرة الفقر التى يتوارثونها جيلاً بعد جيل.

أعمال جرامين الاجتماعية

إن الشركات التى تهدف لتحقيق الربح يمكنها أيضًا أن تتحول إلى مشروعات اجتماعية، وذلك إذا ما أصبح للفقراء حصة الأغلبية فى ملكيتها. وهو ما يمثل نوعًا آخر من المشروعات الاجتماعية، والذى يصنف بنك جرامين فى إطاره.

ويمكن للفقراء أن يحصلوا على حصص الملكية فى هذه الشركات كهدايا من المتبرعين، أو عن طريق شرائهم لها بأموالهم الخاصة. فمقترضو بنك جرامين يشترون

حصص الملكية فى البنك بأموالهم الخاصة، ولا يجوز نقل ملكية تلك الحصص لغير المقترضين. ويقوم فريق من المحترفين بإدارة الأعمال اليومية للبنك بالتزام مهنى شديد.

ويمكن للجهات المانحة سواء كانت ثنائية أو متعددة الأطراف أن تساعد على إنشاء هذا النوع من المشروعات بسهولة. فعندما يعطى المتبرع قرضًا أو منحة لإقامة كوبرى فى الدولة المتلقية، يمكنه بدلاً من ذلك إقامة شركة إنشاء كبارى مملوكة للفقراء المحليين فى تلك الدولة. ويمكن أن توكل مهمة إدارة الشركة لإحدى شركات الإدارة الجادة، على أن يوزع جزء من أرباح الشركة على الفقراء كتوزيعات أرباح، بينما يوجه الجزء الآخر إلى إقامة المزيد من الكبارى. وهناك كثير من مشروعات البنية الأساسية مثل الطرق والمطارات والموانئ وشركات المرافق الأساسية يمكن إقامتها بنفس الطريقة.

لقد أقامت شركة جرامين مشروعين اجتماعيين من النوع الأول. **أولهما:** مصنع لإنتاج الزبادى المدعم بالعناصر الغذائية لتوفير التغذية المناسبة للأطفال الذين يعانون من سوء التغذية، وذلك من خلال شركة رأس مال مشترك مع شركة دانون وستستمر هذه الشركة فى التوسع حتى يصل الزبادى إلى كل أطفال بنجلاديش ممن يعانون سوء التغذية. **أما المشروع الثانى**، فهو سلسلة من مستشفيات العيون، تقوم الواحدة منها بعشرة آلاف عملية لإزالة المياه البيضاء فى العام، وذلك مقابل أسعار تتفاوت بين الأغنياء والفقراء.

سوق المال الاجتماعى

ولربط المستثمرين بالمشروعات الاجتماعية لا بد من إنشاء سوق للمال الاجتماعى حيث يقتصر التداول على أسهم المشروعات الاجتماعية. فيأتى إليها المستثمر بنية واضحة لاختيار مشروع اجتماعى تتناسب أهدافه مع رؤيته. أما من يرغب فى تحقيق الأرباح فسوف يتوجه إلى سوق المال القائم الآن.

وحتى يتسنى لسوق المال الاجتماعى أن يعمل بكفاءة، سيتعين علينا إقامة مؤسسات للتقييم، وتوحيد المفاهيم والتعريفات، وأدوات قياس الآثار، وأشكال التقارير، بالإضافة إلى منشورات مالية جديدة مثل «جريدة الوول ستريت الاجتماعية». وستقدم كليات الإدارة مناهج دراسية ودرجات علمية لإدارة الأعمال

فى مجال الأعمال الاجتماعية لتدريب الكوادر الإدارية الشابة على إدارة شركات المشروعات الاجتماعية بأكفأ الطرق، وتشجيعهم ليتحولوا هم أنفسهم إلى منظمين فى مجال الأعمال الاجتماعية.

دور المشروعات الاجتماعية فى ظل العولمة

أنا من مؤيدى العولمة، وأرى أنها من الممكن أن تعود على الفقراء بفائدة أكبر من بدائلها. إذا كانت من النوع الصحيح من العولمة. فالعولمة بالنسبة لى تمثل طريقًا سريعًا له مائة حارة يمر عبر العالم. فإذا كان هذا الطريق مجانيًا للجميع، فإن الشاحنات الضخمة للاقتصادات القوية سوف تسيطر على جميع حاراته وسوف تدفع العربات البنجلاديشية إلى خارج الطريق. فلكى تحقق العولمة الفائدة لجميع الأطراف لا بد لهذا الطريق السريع من وجود قوانين، وشرطة لتنظيم المرور، وسلطة لإدارة هذا القانون. فقانون البقاء للأقوى لا بد أن يستبدل بقواعد منظمة تضمن للفقراء مكانًا وقدرة على المشاركة دون أن تزاحمهم فى ذلك الفئات الأقوى. فالعولمة يجب ألا تتحول إلى إمبريالية مالية.

ويمكن إقامة المشروعات الاجتماعية متعددة الجنسيات والقوية لحفظ فوائد العولمة للأفراد الفقراء وللدول الفقيرة. فالمشروعات الاجتماعية إما أن تحقق الملكية للفقراء أو تبقى الأرباح داخل الدول الفقيرة، لأن توزيع أرباح لأنفسهم لن يكون هو هدف هذه الشركات. وسيكون من المفضل أيضًا حصول الدول الفقيرة على استثمار أجنبى مباشر من جانب المستثمرين الاجتماعيين الأجانب. ولعل أحد المجالات المهمة للأعمال الاجتماعية سيكون محاولة بناء اقتصاد قوى فى الدول الفقيرة من خلال حماية مصالحها القومية من الشركات التى تسعى لنهب خيراتها.

نحن نحقق ما نريد

نحن نحصل على ما نشاء، أو ما لا نرفضه. فنحن نتقبل حقيقة أنه سيظل هناك دائمًا فقراء حولنا، وأن الفقر جزء من واقع الإنسانية. وهذا هو بالضبط ما يجعل الفقر مستمرًا فى التواجد من حولنا. لأننا إذا ما آمنا أن الفقر غير مقبول بالنسبة لنا،

وأنه لا مكان له فى أى مجتمع متحضر، فسوف نقيم المؤسسات والسياسات المناسبة لخلق عالم خال من الفقر.

لقد أردنا الصعود إلى القمر فصعدنا وأردنا البقاء فى محطات فضائية أشهراً طويلة فبقينا. لأننا نحقق ما نريد تحقيقه. وإذا كنا لا نحقق شيئًا فإن هذا يرجع لأننا لم نضعه فى أذهاننا. فنحن نحقق ما نريد.

أما ما نريده وكيفية تحقيقه فيتوقف على أذهاننا. فمن الصعب تغيير ما رسخ فى الأذهان. ونحن نخلق العالم بالشكل الذى يتفق مع الصورة التى تحملها أذهاننا. لذا علينا أن نبتكر طرقًا لتغيير منظورنا بشكل مستمر، وإعادة صياغة أذهاننا بسرعة لدى حصولنا على معلومات جديدة. فمن الممكن لنا إعادة تشكيل العالم إذا ما نجحنا فى إعادة تشكيل أذهاننا.

الفقر مكانه المتاحف

إننى أؤمن بقدرتنا على خلق عالم بلا فقر؛ لأن الفقراء ليسوا هم الذين يصنعون الفقر. فالفقر يستمد بقاءه من النظام الاقتصادى والاجتماعى الذى صممناه لأنفسنا، ومن المؤسسات والمفاهيم التى يقوم عليها هذا النظام، ومن السياسات التى نطبقها.

لقد ظهر الفقر لأننا بنينا نظريات اقتصادية على افتراضات تسىء تقدير القدرات البشرية، وذلك بوضع مفاهيم ضيقة (مثل مفاهيم الأعمال والجدارة الائتمانية والتنظيم والتوظيف) أو تطوير مؤسسات غير مكتملة (مثل المؤسسات المالية التى تتجاهل الفقراء تمامًا). فوجود الفقر يرجع إلى فشلنا على المستوى المفاهيمى، وليس إلى قصور فى قدراتنا كأفراد.

إننى أؤمن بشدة بقدرتنا على خلق عالم بلا فقر إذا ما آمنا بذلك بشكل جماعى. وفى عالم بلا فقر لن يكون للفقر مكان سوى فى المتاحف. وعندما يتجول أطفال المدارس فى متاحف الفقر بعد عدة أجيال سيصابون بالذعر لدى رؤيتهم المعاناة وانحطاط الكرامة التى عاشها بعض البشر. وسيلقون باللوم على آبائهم وأجدادهم لتهاونهم مع هذه الحالة اللا إنسانية، والتى سادت لتلك الفترة الطويلة بين هذا العدد الضخم من الناس.

إن كل البشر لديهم من الطاقات الداخلية ما يخولهم للاهتمام ليس فقط بأنفسهم، وإنما أيضًا للمساهمة فى تحسين أوضاع العالم ككل. فالبعض تأتيه الفرصة لاكتشاف طاقاته إلى حد ما، ولكن الكثيرين لا يحصلون أبدًا على أى فرصة خلال حياتهم لاكتشاف المنحة الرائعة التى ولدوا بها. فيموتون دون أن يكتشفهم أحد ويظل العالم محرومًا من كل ما كان بإمكانهم تقديمه.

لقد منحنى بنك جرامين إيمانًا راسخًا فى القدرات الإبداعية الخلاقة للبشر. الأمر الذى قادنى للاعتقاد الراسخ بأن الإنسان لم يولد ليعانى آلام الجوع والفقر.

والفقراء بالنسبة لى مثل أشجار البونساى. فعندما تزرع أفضل البذور لأطول الأشجار فى إصيص صغير، فإنك لا تحصل إلا على شجرة قصيرة. وليس ذلك لعيب فى البذور ولكن التربة هى التى لا تكفيها. فالفقراء هم أفراد البونساى، ولا عيب فيهم سوى أن المجتمع لم يمنحهم أبدًا أساسًا مناسبًا للنمو عليه. لذا فإن كل ما يتطلبه إخراج الفقراء من دائرة الفقر هو خلق البيئة المناسبة لهم. وبمجرد أن يسمح لهم بإطلاق طاقاتهم وإبداعاتهم، سيختفى الفقر فى لمح البصر. فدعونا نتعاون لنعطى كل إنسان فى كل مكان من العالم الفرصة العادلة لإطلاق طاقاته وإبداعاته.

السيدات والسادة

دعونى أختتم حديثى بالتعبير عن عظيم شكرى وعرفانى للجنة نوبل النرويجية لإقرارها بأن للفقراء، وخاصة النساء منهم، القدرة والحق فى أن يعيشوا حياة كريمة، وأن الائتمان الصغير يساعد فى إطلاق العنان لقدراتهم. وأنا أؤمن أن هذا الشرف العظيم الذى أعطيتمونا إياه سيشجع الكثير من المبادرات الجريئة حول العالم لكسر الحلقة التاريخية والقضاء على الفقر فى العالم كله.

ولكم عظيم الشكر..

* * *